مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

العدد الرابع عشر
1997

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1427 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1997 أفرنجي

الاشتقاق

د. عبد الله محمد الكبيسي

الاشتقاق، في علوم العربيّة: صوغ كلمة من أُخرى، على حسب قوانين الصرف، أو هو: أخْذ كلمة من كلمة أو أكثر، مع تناسب بينهما في اللّفظ والمعنى، أو هو: أخذ صيغة من أُخرى، فهو توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدّد مادّتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاصّ الجديد.

وعلماء الصرف يكادون يجمعون على أنّ الاشتقاق هو: أخْذ كلمة من أُخرى، مع تشابه بينهما في المعنى، وتغيير في اللّفظ بين الأصل المأخوذ منه والفرع المأخوذ.

ويختصّ الاشتقاق بالبحث في أصول الكلمات وفروعها، والعلاقات بينها، وطرائق توليد بعضها من بعض، وقد بدأ الاشتقاق مبحثاً من مباحث علم الصرف، ثم تطوّر حتى صار ـ لأهميّته ـ علماً من علوم اللّغة العربيّة المستقلّة بذاتها.

ومن علماء العربيّة الّذين اشتغلوا بالاشتقاق، المفضّل الضبيّ، صاحب المفضّليّات المتوفّى سنة 168 هـ، والأصمعيّ المتوفّى: 214 هـ، والأخفش الأوسط المتوفّى: 221 هـ، والزّجاج المتوفى: 310 هـ. وابن السّرّاج المتوفّى: 316 هـ، وابن دريد صاحب كتابي الاشتقاق والجمهرة، المتوفى 321 هـ، وأبو جعفر أحمد النحّاس المتوفّى 337 هـ، وابن خالويه المتوفى: 370 هـ، والرّمّاني المتوفّى: 384 هـ.

وإذا كان النحوّ والصرف قد وضعا عصمةً للسان من اللحن والخطأ في الكلام والقراءة، فإنّ الاشتقاق يقوم بدور إثراء اللّغة، وجعلها قادرة دائماً على التجدّد والتقدّم ومسايرة تطوّر الحياة، وارتقاء الحضارة، وذلك بما يزوّد اللّغة

ويمدّها به دائماً من أسماءٍ وأفعال حديثة لمسمّيات حديثة، عن طريق التوليد، والنحت ووجوه القلب والإبدال[1].

والمشتقّات تنمي وتكثر حين الحاجة إليها، وقد يسبق بعضها بعضاً في الوجود[2]، وليس من اليسير دائماً أن نُدرك أسبقها، وأن نعيّن متى استُعلمت مادّتها الأصليّة أوّل مرّة، ومتى بدأت تدلّ على معنى خاصّ، إلا أنّ الرّاجح أنّ الحسّيّ أسبق في الوجود من المعنويّ المجرّد[3]، وهذا ما يجعل الباحث المنصف ينتصر للرّأي القائل بأنّ أصل المشتقّات هي الأسماء لا الأفعال، ولاسيّما أسماء الأعيان.

وأيّاً ما كان أمر الاشتقاق، فبه تُحدّد مادّة الكلمة، وتُربط بأخواتها، وبالمجموعة التي تنتسب إليها، فلا يلتبس على الدّارس الفرع بالأصل إن أدرك عمليّة الاشتقاق كيف تكون، ولذا فإنّ الاسم المشتقّ هو ما أُخذ من غيره ودلّ على ذات مع ملاحظة صفة، مثل: عالم، ومسافر، ومزروع، وكريم، وأجمل، ومجلس، ومفتاح.

فكل مشتق من هذه المشتقات يدلّ على ذات وصفة، فمثلاً كلمة: عالم، تدلّ على ذات اتصفت بالعلم، وكلمة: مسافر، تدلّ على ذات اتّصفت بالسّفر، وهكذا...

والمعروف أنّ أسماء الأجناس المحسّة لا يُشتقّ منها أصلاً، وإذا وردت بعض مشتقّات من أسماء أجناس محسّة، فإنّ ذلك من باب النّدرة، من ذلك مثلاً: أورقت الأشجار، وأسْبعَت الأرض، فالفعل الأوّل مشتقّ من الورق، والثاني مشتقّ من السَّبع، وكذلك: عقربتُ الصّدغ وفلفلتُ الطّعام، ونرجست الماء، فالفعل الأوّل مشتقّ من العقرب، والثاني: من الفلفل، والثالث: من النرجس[4]...

فالاشتقاق وسيلة رائعة في توليد الألفاظ، وتجديد الدلالات، نجدها في أنواع الاشتقاق الثلاثة الشّائعة: الأصغر، والكبير، والأكبر، وفي النوع الرابع الملحق بها

(1) المزهر 1/ 346، 351.
(2) فقه اللغة للمبارك ص63.
(3) من أسرار اللغة ص46 ـ ط2.
(4) المدخل إلى علم النحوّ والصرف ص45.

وهو «النحت» الذي يؤثر بعض المحدثين أن يسمّيه الاشتقاق الكبار[5].

والمراد بالاشتقاق الأصغر اتّحاد الكلمتين حروفاً وترتيباً مثل: نَصرَ من النّصر، وعَلِم من العلم...

أمّا الاشتقاق الكبير فهو ما اتّحدت فيه الكلمتان حروفاً لا ترتيباً، مثل: جذبه وجبذه، إذا شدّه إليه، وهفا فؤاده، وفها فؤاده، إذا مال...

والمقصود بالاشتقاق الأكبر اتّحاد الكلمتين في أكثر الحروف مع تناسب في الباقي، مثل: نَعَق ونهق، لتناسب العين والهاء في المخرج، وأسبغ الله عليه النعمة، وأصبغها: أكثرها... والاشتقاق الأصغر أكثر أنواع الاشتقاق وروداً في العربيّة، وهو محتجّ به لدى أكبر علماء العربيّة، «وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة، حتّى يُرْجَع منها إلى صيغة هي أصل الصّيغ كلها دلالة اطّراد، أو حروفاً غالباً؛ كَضَرْب فإنه دالّ على مطلق الضرب فقط، أما ضارب، ومضروب، ويضرب، وإضراب، فكلّها أكثر دلالة وأكثر حروفاً، وضَرَب الماضي مساوٍ حروفاً وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في ـ ض ر ب ـ وفي هيئة تركيبها»[6].

وإذا كانت الصّيغة المشتقّة متفقة مع الصّيغة المشتقّ منها في المادّة الأصليّة وهيئة التركيب كما مضى، في ـ ضرب ـ وتصاريفها، كان لزاماً في كلّ كلمة بها المادّة الأصليّة، على ترتيبها نفسه، أنْ تفيد المعنى العام الذي وضعت له تلك الصيغة، وإن تخلّلها أو لحقها أو سبقها بعض الأصوات الليّنة أو السّاكنة ـ فالرّابطة المعنويّة العامة لمادة ـ ع ر ف ـ (التي تفيد انكشاف الشيء وظهوره) تتحقّق في جميع الكلمات الآتية: عَرَفَ، عَرَّفَ، تَعَرَّف، تَعَارَفَ، عُرِف، عُرْفَ، أعْراف، عَرّاف، تعريف، عرفان، مَعْرِفة، وهكذا دواليك[7].

وأهمّ ما في الاشتقاق ارتداد التصاريف المختلفة المتشعّبة عن المادّة الأصليّة، إلى معنى جامع مشترك بينها، يغلب أن يكون معنىً واحداً لا أكثر، كما تقدّم من تصاريف مادة ـ ع ر ف ـ أنّها جميعاً تفيد الانكشاف والظهور...

---

(5) يُنظر الاشتقاق/ عبد الله أمين، ص389.

(6) المزهر 1/ 346.

(7) دراسات في فقه اللغة للمرحوم د. صبحي الصالح 175 ـ 176ط6.